12me Année No. 561

Lundi - 3 - 4 - 1944

بدل الاشتراك عن سنة

٨٠ فى مصر والسودان

١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى

ثمن العدد ١٥ مليما

الاعلانات

يتفق عليها مع الإدارة

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها ورئيس تحريرها المسئول

احمد حسن الزيات

الادارة

دار الرسالة بشارع السلطان حسين رقم ٨١ — عابدين — القاهرة

تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العـــدد ٥٦١ « القاهرة فى يوم الإثنين ٩ ربيع الآخر سنة ١٣٦٣ — الموافق ٣ أبريل سنة ١٩٤٤ » السنة الثانية عشرة

الفهـــرس

صفحة		
٢٨١	شر ولا سر	الأستاذ عباس محمود العقاد
٢٨٤	الحكم على الشعر وأساليب النقد والتحليل	الدكتور محمد صبرى ... ...
٢٨٦	اللغة والوطن	الأستاذ دريني خشبة ...
٢٨٨	القضية العربية فى المرحلة الحاسمة	الأستاذ نسيب سعيد ... ...
٢٩٠	محاورات الموتى	للكاتب الفرنسى برنار دفونتيل بقلم الأديب يوسف روشا ...
٢٩٢	منشأ عقيدة اليزيدية وتطورها	الأستاذ سعيد الديوه جى ...
٢٩٤	قدامة بن مظعون	الأستاذ عبد المتعال الصعيدى
٢٩٦	نقل الأديب	الأستاذ محمد إسعاف النشاشيبى
٢٩٧	العزلة [قصيدة]	الأستاذ محمود حسن إسماعيل
٢٩٧	جراح «	الأديب عبد العليم عيسى ...
٢٩٨	شعراء الشباب والأستاذ الجليل « ا . ع »	الأستاذ دريني خشبة ... ...
٢٩٨	النسب إلى أم وأمومة ...	الأستاذ عبد الحميد عنتر ...
٢٩٩	أخطاء فى الأعلام	الأستاذ محمد غنان ... ...
٢٩٩	سهوه ومعيه	... ...

شر ولا سر ...

للأستاذ عباس محمود العقاد

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

« ... أرجوكم أن تتكرموا ... بشرح هذا الموضوع على صفحات الرسالة الغراء ... وهو (المرأة سر غامض)

« ... هى الجميلة وهى القبيحة ، هى الجنة وهى الجحيم ، هى الخادعة الفاتنة وهى المخدوعة المفتونة ، هى الكريمة المحسنة وهى الشريرة الظالمة ، هى الضاحكة الباسمة وهى الباكية القاتمة ، هى الوفية المخلصة وهى الخائنة الغادرة ... كل هذا وأكثر من هذا عند المرأة ، وهو عندها فى زمان واحد ، وعندها فى عقل واحد وقلب واحد ... فهل لكم أن تتفضلوا بكشف الغطاء عن هذا السر العويص ، وعن خفايا هذا القلب وهذا العقل الغامضين ... »

(بيت المقدس) دارو الطبردى

* * *

كتاب جاءنى من الأديب صاحب التوقيع واكتفيت منه بما نشرته لأنه هو المقصود بالإجابة ، ورأيت حقاً أنه موضوع قديم حديث لا يزال الآن ، ولن يزال إلى آخر الزمان ، صالحا للعودة إليه وزيادة القول فيه

فالمرأة كما قال الأديب شتبن من النقائض والصفات .
ولا غرابة عندى فى ذلك ، لأن ا رابة إنما هى فى الصورة التى نتلقاها وليست فى الحقيقة التى تلك الصورة على أبصارنا

فمن شاء عجب واستغرب ، و ى شاء نظر إلى السبب فبطل عنده العجب ، وعلم أن النقائض فى الظواهر إنما تفضى إلى باطن لا تناقض فيه ، لأنه مفهوم معقول على الوجه الذى ننتهى إليه ، وليس هو فى منتهاه ببعيد

إذا عرف السبب بطل العجب كما قيل

وإنما نعرف السبب فى تناقض المرأة كلما اقتربنا أولاً من التفاهم على الشخصية الإنسانية ، واقتربنا « ثانياً » من التفاهم على جوانب طبع المرأة ، واقتربنا « ثالثاً » من فهم الأنوثة فى جملتها

فمصدر الخطأ كله فى تصور « الشخصية الإنسانية » أننا نتصورها شيئاً واحداً لأنها تنطوى فى اللغة تحت عنوان واحد .

ولكن الواقع أن « الشخصية الإنسانية » سواء فى الرجل أو المرأة هي أشياء لا تحصى تنطوى تحت كلمة معدودة الحروف مجهولة الحدود

فهى تختلف بين حالة وحالة . وتختلف بين سن وسن ، وتختلف على حسب العلاقة بينها وبين هذا الإنسان أو ذاك الإنسان ، وتختلف على حسب العلل والبواعث التى تحركها إلى الأعمال .

فهى فى حالة الرضى والنعيم غيرها فى حالة السخط والبأساء ، وهى فى الشباب الباكر غيرها فى الكهولة أو الشيخوخة ، وهى فى معاملتها لفريق من الناس غيرها فى معاملة أناس آخرين ، وهى إذ تنبعث عن الطمع والخوف غيرها حين تنبعث عن النخوة والشجاعة

فإذا صدرت عنها الأعمال مختلفات فلا عجب فى ذلك ، لأنها لا تأتى من مصدر واحد ، ولا تزال لها مصادر متعددات

ويقال هذا عن النساء كما يقال عن الرجال أو الأطفال ، بل كما يقال عن الأشياء التى ليس لها حس ولا مشيئة

إن « الشواء » مثلاً هو قوة وضعف ، وهو دواء نافع وسم ناقع ، وهو لذيذ وكريه ، وهو غال ورخيص

وسبب ذلك أنه قد يأكله الطفل كما يأكله الرجل ، وقد يأكله المريض كما يأكله الصحيح ، وقد يجود صنعه وقد يسوء فى يد الطاهى الواحد على حسب اختلاف الأوقات والأدوات ، وقد يؤكل من السفود أو يؤكل بارداً بعد أيام

وإذا جاز اختلاف الأثر إلى هذا المدى فى صنف من الطعام فهو جائز إلى أبعد من هذا المدى فى الخلائق الحية التى تتقلب بين الدوافع والطبائع كل حين

* * *

أما التفاهم على جوانب طبع المرأة فنحن نقترب منه كلما أحضرنا فى أخلادنا هذه الجوانب المتعددة وذكرنا أنها تجتمع فى وقت واحد وتعمل فى وقت واحد ، فتأتى أعمالها متفقات أو متناقضات على حسب الدواعى والغايات

فالمرأة من جهة فرد من أفراد نوع تستقل بوجودها الخاص بين جميع أفراد ذلك النوع ، فهى هنا فى مقام المناضلة عن استقلالها ، أو مقام التضامن بالغريزة النوعية على تباين الأحوال والعلاقات

والمرأة من جهة ثانية هى عضو فى بنية اجتماعية هى الأمة أو المدينة أو القبيلة ، وهى من ثم زوجة أو بنت أو أخت أو صاحبة عمل تجمعها بتلك البنية الاجتماعية صلة العرف أو القانون ، وتلك صلة أخرى غير صلة الغريزة النوعية أو صلة الفرد بسائر الأفراد الذين يشاركونه فى نوع واحد

والمرأة من جهة غير هذه وتلك أنثى لها تركيب حيوى يربطها بمخلوق آخر تنظر إليه نظرة غير نظرتها إلى الفرد أو إلى الشريك فى البنية الاجتماعية

وهى من جهة أخرى أم تحب أبناءها بالغريزة والألفة ، وهى كائن حى من حيث هى وليدة الحياة فى جملتها أيا كان النوع الذى تنتمى إليه والأمة التى تعيش بينها والعلاقات التى تجمعها بالزوج أو القرابة أو البنين

هى كل أولئك معاً لا فكاك لبعضهم من بعض ولا افتراق

وليس من الضرورى أن يتفق كل أولئك فى الوقت الواحد على اتجاه واحد ، لأن مطالب الفرد والزوجة والأم والحبيبة والكائن الحي قد تتعارض فى مذاهبها وهى مجتمعة فى بنية واحدة

وليس من الضروري كذلك أن تكون المرأة أمّاً بالفعل لتشعر بحنو الأمومة ، لأنها مخلوقة للأمومة قبل أن يولد لها الأبناء ، وقد تكون الأم الوالدة أقل في حنوها من الفتاة العذراء ، إذا طرأ للأم الوالدة ما يحجب فيها شعور الأمهات إلى حين

لدينا إذن فرد يريد بفطرته الفردية أن يستقل عن جميع الأفراد الآخرين سواء كانوا من الآباء أو الأمهات أو الأزواج ؛ فلا يلبث أن يستقر فيه هـذا الشعور الطبيعي حتى ينازعه فيه شعور الأنثى التي تريد أن تنضوي إلى رجل تهواه ، وقد ينازعها شعوران بل أكثر من شعورين إذا تعددت الصفات التي تستهويها من الرجال وتفرقت بينهم على نحو يضلل الإرادة ويشتت الأهواء

ولا تلبث أن تغالب استقلالها الفردي وتطاوع نزعتها الأنثوية حتى يبرز لها المجتمع بحكمه الذي قد يخالف حكمها في الاختيار والترجيح ، فيقودها إلى الجاه والمال وهي تنقاد إلى الفتوة والجمال ، أو يلزمها الوفاء للزوج وهي تنظر إلى رجل آخر نظرة الأنثى التي سبقت بفطرتها قوانين الأمم وقواعد الآداب

ولا تلبث أن تحتال على هـذه البواعث حتى يغلبها حنو الأمومة فيربطها بمكان لا تود البقاء فيه ، أو ينهض الكائن الحي في نفسها نهضة لا تطيع باعثاً غير بواعث الحياة بمعزل عن نزوة الأنثى وقانون المجتمع وغرائز الأمهات

تناقض كهـذا لا عجب فيه ولا مباينة للمعقول ؛ لأن كل دافع من دوافعه مرجعه إلى سبب مفهوم موافق لسنة الأحياء

ثم يضاف إليه تناقض آخر يرجع إلى تعدد الدواعي في كل صفة من هذه الصفات

ونكتفي بصفة واحدة لأن توضيح الصفات جميعاً شرح يطول بنا في هذا المقام

فالمرأة في صفة الأنوثة ، وهي تنضوي إلى الذكورة ، تحب الرجل الكريم لأنه يغمرها بالنعمة ويريحها من شدائد العيش ويخصها بالزينة التي تزهيها وترضي كبرياءها بين النظيرات والمنافسات ، فضلاً عما في الكرم من معنى العظمة والاقتدار

ولكنك قد ترى هـذه المرأة بعينها تتعلق ببخيل لا ينفق ماله على زينة ولا متاع ، فهل هي مناقضة لطبيعتها في هذا الانحراف العجيب ؟

كلا : بل هي لا تناقض طبيعة الكبرياء نفسها التي ترضيها عن كرم الكريم ؛ لأن المرأة يجرح كبرياءها أن ترى رجلاً يستكثر المال في سبيل مرضاتها ، ومتى جُرحت المرأة في كبريائها أقبلت باهتمامها وحيلتها وغوايتها من حيث أصابها ذلك الجرح المثير ، وليس أقرب من تحول الاهتمام إلى التعلق في طبائع النساء

فالنزعة الواحدة قد تكون سبيلاً إلى النقيضين في ظاهر الأعمال ، ولكنهما نقيضان لا يلبثان أن يتفقا ويتوحدا عند المنبع الأصيل ، متى عرفنا كيف تنتهي الردة إليه

* * *

أما فهم الأنوثة على جملتها فمن الحق أن نذكر أن الأنوثة درجات ، وأن لهـا أطواراً كثيرة بين الظهور والضمور . فليست كل امرأة أنثى من فرع رأسها إلى أخمص قدمها كما يقال قديماً في معنى التعميم والشمول ، أو ليست كل امرأة أنثى مائة في المائة كما يقول الأوربيون اليوم ؛ بل ربما كانت فيهـا نوازع إلى الأنوثة ونوازع أخرى إلى الرجولة ، وربما كانت أنوثتها رهناً بقوة في الرجل الذي يظهرها لا يتشابه فيها جميع الرجال ، وربمـا كانت في بعض عوارضها الشهرية وما شابهها من عوارض الحمل والولادة أقرب إلى الأنوثة الغالبة أو أقرب إلى الذكورة الغالبة ، وهي العوارض التي كانت تحسب فيما مضى كلاماً من كلام المجاز ، فأصبحت اليوم حقيقة علمية من حقائق الخلايا وفصلاً مدروساً من فصول علم الأجنة ووظائف الأعضاء

* * *

وبعد فالمرأة شخصية إنسانية لا تنحصر في لون واحد ولا يستغرقها الحس في علاقة واحدة

والمرأة صفات متعددة أو أدوار كثيرة تتمثل على مسرح النوع ومسرح المجتمع ومسرح الطبيعة والحياة

والمرأة أنوثة لا تستقر على حال بين الحدة والفتور وبين الظهور والضمور

فأنى عجب أن تختلف وتتناقض في لحظة واحدة ؟ إنما